(١)

محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي الرحمة
فلنحمل رحمته للعالمين

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين ، **وبعـــد** :

فلقد خلق الله الخلقَ واصطفى منهم الرسل والأنبياء ، واصطفى منهم الخمسة أولي العزم (نوحًا ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمدًا، عليهم الصلاة والسلام) ، واصطفى منهم محمدًا (صلى الله عليه وسلم) فشرح له صدره ، وأعلى شأنه، ورفع ذكره ، وجمع له مكارم الأخلاق والآداب ، فقال سبحانه: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

وإن من عظيم الأخلاق التي تحلَّى بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خُلُقَ الرحمة فظهرت آثارها علي البشرية كلها ؛ لأنها رحمة ربانية ، قال تعالى :{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}.

وقد كانت الرحمة التي أودعها الله تعالى قلب رسوله (صلى الله عليه وسلم) رحمة عامة وشاملة ، مصداقًا لقوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}، لم يقل رب العزة رحمة للمؤمنين ولا للمسلمين ، وإنما قال رحمة للعالمين ، وقد بلغت رحمته (صلى الله عليه وسلم) بالبشرية حدًّا يفوق كل تصورات العقول ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، ويحسن إلى من أساء إليه ، شهدت له بذلك أم المؤمنين خديجةُ (رضي الله عنها)

قائلة : (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقّ...)، وعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُوا بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا)؛ لذا تنوعت مظاهر الرحمة وتعددت في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن ذلك :

* **رحمته (صلى الله عليه وسلم) بغير المسلمين ، وشفقته عليهم ، ورغبته في هدايتهم** ، ولا أدل على ذلك مما حدث يوم الطائف ، والذي كان من أشد الأيام صعوبة على النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقد كذبه أهل الطائف إلى الحد الذي حدا بأمين وحي السماء جبريل (عليه السلام) أن ينزل بأمر من ربه (سبحانه وتعالى) ومعه ملك الجبال مُستأمرًا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في أن يُوقع بهم العذاب ويجيب الرحمة المهداة (صلى الله عليه وسلم) قائلًا : (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) ،بل ولما قيل له (صلى الله عليه وسلم): ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ : (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً).

* **رحمته (صلى الله عليه وسلم) بالجاهلين والعصاة من أمته**: فكان يأخذ بأيديهم ويبين لهم سوء فعلهم برفق ولين ، وحكمة وموعظة لا تقلل من شأنهم أو

تَنْتَقِصُ من أقدارهم ، فقد صحّ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)، وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ، قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمَّاهُ ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِتُونِي سَكَتُّ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا قَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي ، وَلاَ شَتَمَنِي، قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ).

وبلغت رحمته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مداها مع العصاة حين جيء إليه برجلٍ شرَّابٍ للخمر ، فَقَالَ رَجُلٌ: اللهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) ، إنها رحمةٌ ألّفت حوله (صلى الله عليه وسلم) القلوب ، وأذابت ما فيها من ضغائن، فقد صب رحمته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على أوضار القلوب، وصدق الله العظيم إذ يقول:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} .

* **رحمته (صلى الله عليه وسلم) بالأطفال**: لقد اتسعت رحمته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لتشمل الأطفال ؛ إذ يقول أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) كَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ

الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا). وكان (صلى الله عليه وسلم) يسلم على الصبيان ، ويمسح على وجوههم.

وكانَ (صلى الله عليه وسلم) يصَلي وهو حاملٌ أُمامةَ بنتَ زينبَ بِنْتِ رسولِ اللهِ(صلى الله عليه وسلم) على عاتقِه ، فإذا سجدَ وضَعَها، وإذا قامَ حملَها ، وما أروع ما قاله أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ (رضي الله عنه): (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ولما مات ولده إبراهيم دمعت عيناه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ:(يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ)، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):(إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضَى رَبَّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) .

* **رحمته (صلى الله عليه وسلم) بالمرأة والضعيف** : فقد أخذت المرأة حظها من رحمة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فكثيرًا ما كان يوصي بحسن معاملتها، والرفق بها، وإكرامها، وحمايتها، فالمرأة في شريعته جسدٌ يُرحم وعرضٌ يُصان ، فقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):(اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)، بل وكان يشفق على المرأة حين يسرع الحادي في قيادة الإبل التي تركبها النساء، فيقول له: (رفقًا بالقوارير)، بل بلغ من رحمته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)أنه كان يتجوز في صلاته إذا سمع بكاء الصبي رحمةً بأمه ، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنِّي لَأَقُومُ إِلَى الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ)، وذلك على الرغم من أن قرة عينه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في الصلاة ، وهذا من كمال شفقته ورحمته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالمرأة .

ولقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) أعظم الأمثلة في رحمته باليتيم، والمسكين، والأرملة، حين جاءه (صلى الله عليه وسلم) رَجُلٌ يَشْتَكِي قَسَاوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ؟) فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ : (ارْحَمِ الْيَتِيمَ ، وَامْسَحْ رَأسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ، وَتَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِكَ)، وقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ "وَأَحْسِبُهُ قَالَ : "وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ).

هذه الصور العظيمة للرحمة التي أسكنها الله (عز وجل) قلب نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أكبر دليل على سماحة الإسلام ، ورحمته ويسره ، فشريعة الإسلام هي شريعة السلام ، والرحمة ، واليسر بكل معانيها ، فلْنتراحم فيما بيننا ، ولنرحم من في الأرض ليرحمنا من في السماء ، فقد قال : (صلى الله عليه وسلم): (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) للإنسانية على مر التاريخ أعظم الأمثلة في الرحمة بحيث استحق بها أن يكون كما قال الله عنه :{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}، وأكد (صلى الله عليه وسلم) على هذا المعنى تصريحاً، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}، فكان (صلى الله عليه وسلم) ربما ترك

عملًا مُعَينًا رفقًا ورحمةً بأمته خشية أن يفرض عليهم ، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : (إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهْوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ...) ، وقد امتدت تلك الرحمة لتشمل أمته يوم القيامة، إذ يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجِيبَ، فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ) .

ولم تقف مظاهر رحمته (صلى الله عليه وسلم) عند حدود البشر فحسب، بل اتسعت **لتشمل الطير** ، **والحيوان** ، **والجماد** ، فعن رحمته (صلى الله عليه وسلم) بالطير ، قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : كنَّا مع رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم) في سَفَرٍ ، فانطلقَ لِحاجَتِه ، فرأينا حُمَّرَةً معها فَرْخَانِ ، فأخذنا فَرْخَيْهَا ، فجاءتِ الحُمَّرَةُ، فجعلت تُعَرِّشُ ، فجاء النبيَّ (صلى الله عليه وسلم)، فقال : (مَنْ فَجَعَ هذهِ بولدِها؟ رُدُّوا ولدَها إليها).

وعن عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) حَنّ وذرفت عيناه ، فأتاه (صلى الله عليه وسلم) فمسح ذفراه فسكت، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟)، فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال له: (أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ).

ومن مظاهر رحمته (صلى الله عليه وسلم)، بالجماد أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يخطب الناس على جزع نخلٍ، فلما كثر الناس اتخذ منبرًا ، فحن الجزع لفراق رسول الله ، (فَأَتَاهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ : (لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). ولله در الحسن البصري حين قال: « يا معشر المسلمين الخشبةُ تَحِنُّ إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شوقًا إلى لقائه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه؟».

ما أحوجنا إلى أن نقتدي بأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سلوكنا، وأخلاقنا، ومعاملاتنا ، فنتحلى بالرحمة والرأفة واللين والسماحة ، وأن نعامل الناس بما كان يعاملهم به (صلى الله عليه وسلم) ، نشرًا لرسالته ، وبيانًا لهديه وسنته ، فتتحول الرحمة إلى سلوك عملي في حياتنا ، ونحملها إلى البشرية كلها كما حملها أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس وساقوها إليهم سوقًا جميلًا ، فكان ذلك سببًا في إجلال الناس واحترامهم للإسلام كدين من جهة ، وكأسلوب راق للتعامل الإنساني من جهة أخرى .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت

واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت